زبيد وآثارها الاسلامية وأوضاعها الراهنة

عبد الرحمن عبد الله الحضرمي

أيها الاخوة المؤتمرون ... احييكم تحية السلام ... تحية العلم ... تحية الفكر، وأرحب بكم فى عاصمة الجمهورية العربية اليمنية صنعاء. صنعاء الثورة. صنعاء اليمن بكل معانيه السامية الذي ضرب اروع الامثلة فى التضحية والفداء واسس قواعد الحضارة فى الرقعة الواسعة التى انتشر فيها الاسلام بايمانه القوي وبطولته الرائعة.

فى صنعاء يعقد اليوم المؤتمر التاسع للآثار الاسلامية، والحقيقة الحديث عن الآثار الاسلامية حديث رائع يزيدنا اعجابا وفخرا واعتزازا ويشدنا الى الأصالة الحضارية التى ابدعها الانسان اليمنى قبل الاسلام وبعده.

وحديث مؤلم لما توصلت اليه الآثار من ضياع واهمال واندثار نتيجة اوضاع سابقة افقدتنا القيم الحضارية والانسانية والابداع الفكري.

ونحن هنا فى هذا المؤتمر لا نحب ان ندخل فى متاهات شموخ الماضى ولا مآسى الحاضر ولكننا نحب ان نستعرض ما يمكن ان نستعرضه لانه جزء من حياة الآباء والاجداد الذين عاشوا الحياة القاسية بكل مراحلها ولكنهم خلفوا لنا ما ابدعته عقولهم وافكارهم حضارة خالدة على ضوء المسرجة الحجرية ... واشادوا لنا القصور والحصون والمساجد بايديهم واكتافهم.

وحديثى معكم فى هذا المؤتمر يتضمن عبارة اوردها احد الرحالة العرب لزيارة اليمن امين الريحانى عندما سئل عن انطباعاته ومشاهداته لليمن وما وجد فيها فقال : زرت اليمن ووجدت فيها مدينة ومدرسة. اما المدينة صنعاء واما المدرسة زبيد.

وحديثى سيكون عن المدينة ... والمدرسة وهذا ما تكتمل بها الحياة الحضارية. المدينة تلك الرقعة الواسعة التى تتموج فيها الحياة اليوم تجاريا وصناعيا وسياسيا.

والمدرسة مصنع الاجيال علميا وفكريا وابداعا ومن هذا المحصل العلمى والحضاري سجل اليمن رقما قياسيا فى الحضارة ما بعد الاسلام وان كان دوره فى فترات زمنية كان خافتا لصراعاته السياسية غير ان هذا الصراع لم يؤثر كلية على الناحية العلمية والفكرية اكثر ما اثر على الناحية الاقتصادية.

صنعاء المدينة الخالدة قبل اليمن النابض يناقش فيها المؤتمرون الآثار الاسلامية فى الماضى والحاضر.

من هذا المنطلق، والمفهوم، والمنهج الواضح احب ان ابدأ الحديث عن الآثار الاسلامية باليمن لثلاثة مساجد كانت لهم الاولوية فى التاريخ، وفى اداء الرسالة وبناء الفكر علما وابداعا.

الاول : مسجد الاشاعر بمدينة زبيد.
الثانى : مسجد معاذ بن جبل بارضالجند تعز.
الثالث : جامع صنعاء.

والحديث عن اقدمية هؤلاء الثلاثة المساجد هو ان اليمن اول من لبى الدعوة الاسلامية حينما جاءت الرسائل من الرسول عليه الصلاة والسلام الى رؤساء العشائر فآمنوا بها وبعثوا وفودهم الى المدينة المنورة فكان أول وفد بالعام الثامن الهجري وفد الاشاعرة فقال عليه الصلاة والسلام ... اتاكم اهل اليمن ارق افئدة والين قلوبا. الايمان يمان والحكمة يمانية. ثم بعث الرسول عليه الصلاة والسلام أبو موسى الاشعري ومعاذ بن جبل الى اليمن وقال لهما يسرا ولا تعسرا. وبشرا ولا تنفرا. وتطاوعا ولا تختلفا. فنزلا بساحل زبيد واستقر ابو موسى الاشعري بارض زبيد. واسس مع قومه مسجد الاشاعر واتجه معاذ بن جبل الى ارض الجند واسس مسجد الجند.

وفى العام التاسع الهجري كانت الوفود اليمنية والعربية الى الرسول عليه الصلاة والسلام تلبية للدعوة ومن ثم ارسل الرسول الوفود الى اليمن لنشر التعاليم الاسلامية ... من هذا المفهوم نجد ان لهؤلاء الثلاثة المساجد دورا فعالا فى التاريخ الاسلامى علما وفكرا ورسالة.

يسعدنى ان انقلكم فى رحلتكم العلمية من مدينة صنعاء عاصمة الجمهورية العربية اليمنية التى نعتز بماضيها وما بها من تراث اسلامى شامخ، ونبذل جهدنا ونكرسه بالدم والعرق لبنائها وفقا للعصر ولتطور الزمن والحضارة اليمنية الخالدة.

انقلكم فى رحلتكم هذه الى زبيد التى كانت عاصمة للاشاعرة ولدول اسلامية اخرى ... وسأقتصر حديثى على مدينة زبيد باعتبارها من المدن اليمنية الاسلامية الشهيرة، لم تكن زبيد تلك المدينة التى كان يحتضنها السور بمساحة عشرة كيلو متر مربع، أو المدينة التى اختطها محمد بن عبد الله بن زياد سنة ٢٠٤ هـ لتكون عاصمة للدولة الزيادية ... وانما زبيد تلك الرقعة الواسعة التى تعيش على ضفتى واديها الخصيب زبيد.

وقبيلة الأشاعرة التى تمتد من جنوب مقبنة من لواء تعز الى الى وادي رمع شمالا وكانت قرى متفرقة يعيش سكانها على الرعى والزراعة، ويسقون دوابهم من بئر قديم بنى بجواره مسجد الاشاعر ... والاحاديث عن الاشاعرة كثيرة توضح لنا عن كثير من جوانب حياتهم التى كانت قبل الاسلام وبعده، وهى تعطينا صورة صادقةعن المدينة وحياتها حينذاك، هذا وقد اشارت الكثير من كتب التاريخ الى الدور الذي كانت فيه المدينة، مما يدل على قدم هذه المدينة قبل

مجيء محمد عبد الله بن زياد واختطاطه عسكريا لزبيد سنة ٢٠٤ هـ عقب انتدابه من الخليفة المأمون. وامام هذا نلاحظ من خلال تعدد اللقاءات الفكرية والعلمية فقد اخذت هذه المدينة شهرتها كمدينة علمية وحضارية كان لها دور، كما اكد ذلك علماء الاندلس وبالذات ابن الفرض الاندلسى فى مؤلفه عن علماء الاندلس وعلاقاتهم بالعلماء فى الاقطار الاسلامية. والشواهد كثيرة التى تدعم حجتنا لقدم هذه المدينة ومكانتها العلمية والحضارية ومن ذلك العلامة والامام المحدث ابو قرة موسى بن طارق اللحجى الزبيدي المتوفى سنة ٢٠٣ هـ كما ذكر ذلك مؤلف تاريخ ثغر عدن الجزء (٢)، فكان لمجيء الدولة الزيادية ان اهتمت ببنا قلاع العلم واماكن العبادة ومنها الاشاعر ... ثم بناه الامير الحسين بن سلامة سنة ٤٠٧ هـ وظل يحمل هذا الاسم تخليدا للقبيلة.

وفى سنة 832 هـ جدده الخازندار الأمير برقوق الظاهري وقام بتوسيعه بالجناح الشرقى والغربى والجنوبى. وخصص مقصورة للنساء للصلاة وزُيِّن بالذهب واللازورد. وفى سنة 891 قام بتحسينه واصلاحه الملك المنصور عبد الوهاب بن عامر.

وفى سنة 1276 فى الحكم العثمانى الاخير رُمِّمَت بعض سقوفه ولا تزال اللوحة الخشبية التى تحمل اسم الحسين بن سلامة بالخط الكوفى ظاهرة الى الآن.

والأشاعر حينما نتكلم عنه كمسجد ومدرسة : أو جامعة اسلامية فالى جانبه الجامع الكبير الذي اسسه ملوك بنى زبيد ثم جدده الحسين بن سلامة سنة 393 وفى سنة 555 على اثر الغارات الحربية التى كان يكررها على بن مهدي الرعينى الحميري على الدولة النجاحية هدم الجامع ولما دخلت اليمن فى الحكم الأيوبى برئاسة توران شاه ثم غادر اليمن الى حلب اناب عنه المنقذ بن المبارك الكنانى اعاد عمارة الجامع الكبير.

وفى سنة 579 قام بتوسيعه طغتكين بن ايوب بجانحيه الشرقى والغربى وصحنه والجناح الجنوبى والمنارة ومنبر الخطابة.

وفى سنة 897 جدد عمارته الملك الظافر عامر بن عبد الوهاب بن طاهر وادخل عليه تحسينات رائعة وزينه بالنقوش والآيات القرآنية التى لا تزال الى الآن.

وفى سنة 1185 اصلح بعض عقوده وسقوفه بالمقدم الامام المهدي العباس.

والى جانب الاشاعر والجامع الكبير نأتى الى دور المدارس التى وجدت ابتداءا بالقرن الثالث الهجري، حيث ظهر فيه كثير من العلماء وازدادت حركته الى القرن الرابع والخامس بالمدرسة العصامية التى انجبت فطاحل العلماء علما وتدريسا : ابرزهم ابو الفتوح على بن محمد بن عل بن ابى عقامة التغلبى، والعلامة نصر الله الحضرمى، والعلامة محمد عبد الله الحفائلى، والعلامة محمد ابن ابى القاسم الابار الذي كانت حلقاته العلمية بالمدرسة العصامية تكتض بالطلاب وفيه يقول الشاعر الغرنوق :

مجلسك الرحب فى تزاحمه　　لا يسع المرء فيه مقعده
كل على قدره ينال فذا　　يلقط منه وذاك يحصده

ومن خريجى المدرسة العصامية عمارة بن زيدان الحكمى شاعر اليمن وفقيهها ومؤرخها، وتعتبر هذه المدرسة اولى المدارس فى عهد الدولة النجاحية ولا تزال موجودة تحمل اسم مسجد النور، كان العلامة عبد الرحمن بن سليمان الأهدل يلقى محاضراته، والسيد العلامة احمد ابن ادريس بحضور جمهرة العلماء سنة 1245.

فالمدرسة العصامية والمدرسة الدحمانية بالقرن السادس الهجري فالاولى كان مدرسا بها العلامة محمد بن عاصم، والثانية محمد بن دحمان ولا تزالان الى الآن.

فالقرن السابع والثامن الهجري بلغت المدارس بمدينة زبيد فى عهد الدولة الرسولية الذي اعتبر عصرا ذهبيا باليمن مائتين وستة وثلاثين مسجدا ومدرسة عرفت زبيد فيه بالجامعة الاسلامية، ثم تلتها الدولة الطاهرية التى واجهت صراعا سياسيا أدَّى الى سقوطها اثر الكشوفات البحرية البرتغالية، فالحكم المملوكى المصري، فالاتراك.

فى هذه الفترة رغم الاحداث السياسية فقد بنى الملك المنصور عبد الوهاب ابن طاهر المدرسة المنصورية والجراكسة مدرسة كمال الرومى سنة 927، ومدرسة الاسكندرية سنة 950 للاسكندر موز، ومدرسة مصطفى باشا سنة 962.

وفى القرن الحادي عشر الهجري كانت مدرسة يحيى بن عمر الأهدل ومدرسة « ابو بكر بن على البطاح »، ومدرسة عل يوسف، قمة لحركة النشاط العلمى الى عام 1355، حيث بلغ آخر رقم قياسى لطلاب العلم فى هذه المدارس وغيرها المسماة بالاربطة خمسة آلاف طالب.

هذا عرض سريع للمدارس والحركة الفكرية؛ والحقيقة ان دفات الكتب مليئة بفطاحل العلماء وعباقرة العلم فى مجال الفقة واصوله، والحديث واسانيده وعلوم القرآن، والعربية وفروعها، ويكفى أن يكون القاموس المحيط، وتاج العروس والجبر والمقابلة والفلك والطب والزراعة من اهتمامات علماء زبيد علما وتدريسا وتأليفا حوت المكتبات العلمية عشرات آلاف فى كل الفنون العلمية والفكرية والادبية اصبحت نهبا للآفات الضارة المتلفة، ورغم ما تعرضت له مدينة زبيد من اهمال لا تزال زاخرة بالعلم والفكر التى تجسد تلك الحضارة العلمية الشامخة فهى تستصرخ الضمائر وتستنجد الجهود فى الحفاظ عليها ببناء مكتبة لتكون رمزا للعمل والحضارة.

اما التراث العمرانى فزبيد تزخر بالفن المعماري الرائع فى ابنيتها المربعة وما تحوي منازلها من نقوش وزخارف فنية عبر التاريخ يحيط بها سور دائري له اربعة ابواب عمره الحسين بن سلامة فى القرن الرابع الهجري بعد المعترك السياسى الذي دخل فيه اليمن من جراء التجزؤ اليمنى وقيام على بن الفضل بتوحيد اليمن اثر غزوة صنعاء وزبيد، فقام بتجديده الامير سرور الفاتكى فالسلطان طغتكين بن ايوب، فالملك المؤيد الرسولى، فالامير محمد الخيراتى سنة 1222. ولمدينة زبيد اربعة ابواب :

الباب الشرقى - ويسمى الشباريق نسبة الى قرية الشباريق.

الباب الغربى – ويسمى باب علافقة نسبة الى ميناء علافقة ويسمى باب النخل، نسبة الى غابات النخيل، نسبة الى غابات النخيل الواقعة غرب مدينة زبيد.
الباب الجنوبى – ويسمى باب القرتب نسبة الى قرية القرتب بوادي زبيد.
الباب الشمالى – ويسمى باب سهام نسبة الى وادي سهام.

اما الناحية العمرانية فهى لا تزال تمثل ذلك الشموخ المجسد فى الدار الناصري الكبير الذي عمره الملك الناصر احمد بن اسماعيل الرسولى سنة 822 ولا يزال الى الآن يضم المجمع الحكومى بما يشمل من دوائر حكومية وأنابر وثكنات عسكرية، ولقد كانت زيارة الاخ رئيس الجمهورية القائد العام للقوات المسلحة العقيد على عبد الله صالح لزبيد فى 1979/10/22 م اهتمامه البالغ بسرعة ترميم الدار الناصري الكبير وابراج المدينة وابوابها ومساجدها وهذا يعنى أن الدولة تهتم اهتماما بالغا برعاية وحماية الآثار والمعالم التاريخية والحضارية.

أما الناحية الاقتصادية فلقد ظهرت زبيد كمنطقة صناعية ابتداء بالقرن الرابع الهجري حيث ظهرت بها مصانع الحياكة اليدوية « الغزل والنسيج » كسوق تجاري وصناعى واقتصادي بين عدن وزبيد وجدة وصنعاء، واستمرت هذه المصانع تغطى الساحة اليمنية فى منسوجاتها اللحف والبرد والفوط « المآئزر » القطنية والحريرية وبلغ عددها مائة وخمسين مصنعا، ومن زبيد انتشرت هذه الصناعات فى كل من بيت الفقيه، والدريهمى، والحديدة.

ثم تلتها مصانع للصباغة للبرنز الأبيض الى اسود وتصديره للمناطق الباردة : صنعاء وذمار وصعدة والبيضاء ورداع وحَجّة، بلغ آخر رقم لها مائة وخمسين مصنعا. وسنة 1355 بدأت فى الانقراض نتيجة الغزو الصناعى الاوروبى.

وصناعات اخرى لزيت السمسم، والحلويات، والجلود، والخزف « الآنية » وتعتبر منطقة حيس من اشهر المصانع القائمة الى الآن لصناعتها.

ونحن الآن نأتى فى هذا المؤتمر بذكر هذه المآثر التاريخية التى تدل على أصالة الحضارة اليمنية وما خلّف السلف الصالح، لا ننسى اننا دخلنا فى فترة زمنية هيمنت عليها سحب كثيفة من التخلف والجمود والانطواء حتى فقد الشعب اليمنى أو كاد يفقد حضارته العمرانية والفكرية نتيجة الاهمال والضياع « وتكاد تكون فى عالم كان ».

ولكن رغم كل الاحداث فقد كانت ثورة 26 سبتمبر سنة 1962 م منطلق الصحو المعاصر لشعبنا ليطل بحضارته على العالم بكل سماته التليدة والمعاصرة ليستعيد مكانته فى مصاف الشعوب الحضارية العريقة. وكان لليمن الجديد حسه الحضاري فى المحافظة على حضارته انطلاقا من المفهوم الحضاري ... ان الحضارات القديمة ام التوجهات الحضارية للعصر الحاضر.

تدليلا ان الشعب اليمنى بحضارتيه القديمة والاسلامية منار لعصارة الفكر الانسانى فى شتى عصوره المختلفة.

لهذا نُهيب بالمؤتمر والدولة وكل المهتمين المخلصين للامة العربية والاسلامية ان يستشعروا يثقل المسؤولية الكبرى التى لا تزال ملقاة على عاتق الجميع التى تنتظر مزيدا من الجهود والخطوات البناءة فى سبيل حماية وصيانة تراثنا الفكري والعمرانى، لا على مستوى زبيد فحسب ولكن على مستوى الساحة اليمنية الكبرى.

فمهما حظى التراث اليوم من يقظة فى مؤتمراته وعلى صعيد ما تبذله الدولة فان كان ذلك يعتبر قليلا قياسا بما ينتظره منا. وبما لا تزال محتاجة اليه من جهود عملية وحس بناء وفن وتخصص، لا سيما فى هذا العصر الذي اصبح يطوع وسائل التكنولوجيا الحديثة فى سبيل البحث والتنقيب والرعاية.

لهذا فنحن مسؤولون عن كل ذرة من ذرات آثارنا الاسلامية والقديمة فى الحماية والمحافظة والتجديد.

ايها الاخوة المؤتمرون ... اسمحوا لى بعد هذه المقدمة التاريخية النظرية العامة ان احدثكم الى ما آلت بعض آثار زبيد من ناحية، وكيف كانت وما آلت اليه الآن وما تحتاجه من عناية ولنبدأ أولا بجامع الأشاعر.

يقع جامع الأشاعر فى منتصف المدينة بجوار السوق ويحتوي على سبعة طواريد يتوسط ذلك صحن صغير ومنارة ومقصورة للنساء، وبجوارها غرفة للمقدمات ومن الجانب الغربى غرفتان للكتب العلمية وبجوارهما بركة للوضوء ومن ورائها مقصورة لطلاب العلم وفى الناحية الشرقية بركة تسمى الحريبية انشأتها « ماء السماء » جهة الطواشى سنة 814، وللاشاعر ثلاثة ابواب، الباب الاول من الجنوب، والثانى بالشمال الشرقى، والثالث بالشمال الغربى، وتسعة شبابيك.

والى آل اليه الاشاعر اليوم هو ان اصيب أولا ان النوافذ كانت مصدر تهوية للاشاعر قد غطيت بالدكاكين ابتداءا من الباب الاول الذي بجوار سوق الحبوب الى الباب الثانى بجوار سوق الخضر حتى اصبح بعيدا عن التهوية، والامر الثانى ان الاشاعر كثرت فيه التشققات والتصدع نتيجة وجود خزان مياه الشرب وانابيب المياه من البلاستيك، ومما آل اليه الاشاعر ان ردمت بركة الحريبية عام 1373 واصبحت مقصورة الطلاب مؤجرة، وبصورة عامة ان جامع الاشاعر اليوم مآله الى الانقراض لما اصيب من تصدع وتشقق واحاطته بالحوانيت من كل جانب والمطلوب انقاذ الجامع من الاندثار والسقوط الذي سوف يجعل من الصعب على الدولة بناؤه.

الجامع الكبير : مساحته بما فيه البرك وساحة الحمامات أربعة آلاف وخمسمائة متر مربع ويحتوي على مائتين اسطوانة وثلاثمائة، وعشرة عقود، وصحن واسع، ومنارة، ومنبر يحتوي على ثلاثة عشر درجة يتوسط الطارود الاول، وعشر مقاصير للطلاب وسبع قباب وله ثلاثة عشر بابا واربعين نافذة.

والذي آل اليه الجامع الكبير ان هدم جزء من عمارة المغتسلات المسقوفة بالقبب سنة 1964/1384 م وهدم المنبر سنة 1389 وابدل عنه بمنبر صغير، وبدأت سقوفه تتهدم فكان لزيارة وزير الأوقاف لزبيد فى سنة 1979/1399 م، وشاهد مأساة مساجد زبيد ومن بينها الجامع الكبير بادر بسرعة لترميم الجامع بمبلغ قدره خمسمائة ألف ريال وثمانية وسبعين الفا، وتكونت لجنة لترميمه، ومن حسن الحظ ان هذه اللجنة التى كنت من ضمنها، ان رمم نصف ما هو مشرف الى الخراب، ومن حسن الحظ ان الهيئة العامة للآثار ساعدتنا بانتداب الخبير وليام كاري من المتحف الوطنى الذي بذل جهدا كبيرا فى البداية لاخراج النقوض ولوحة الفسيفسا بجوار المحراب وعليه بدأ الحِسّ الحضاري فى صفوف طلاب المدارس الثانوية والاعدادية بزبيد فبذلوا جهودا فى اخراج النورة البيضاء التى طمرت النقوش والكتابات على مر مئات السنين واخيرا انفرد الطالب احمد ابراهيم بشير باخراج النقوش بمفرده باجر رمزي ثم اهتمت اللجنة باعادة منبر الجامع الاول بموافقة وزير الاوقاف. وعليه فان الجامع الكبير يحتاج الى اهتمام كبير واصلاح ما بقى من سقوفه المتبقية ومحاولة اعادة النقوش بالسقف والمحافظة على طابعه وهذا ما عملته اللجنة فى اعادة ما كان صالحا من اخشابه وياجوره.

وعليه اهيب بوزارة الاوقاف الاهتمام بالجامع الكبير وزيارته لمعرفة ما قد رمم وما بقى منه للاصلاح قبل سقوطه حتى لا يصعب على الدولة بناؤه.

مدرسة كمال الرومى الجركسى : تحتوي على قبة ضخمة وحولها قبتان متوسطتان وصحن ومؤخر باربع قبب ومقصورة بقبة وبركة للوضوء محاطة بسقف من القبب.

والقبة تظهر فيها النقوش وسماقة البناء ومتانته غير ان الاهمال رغم ضخامتها وقوة عمارتها بدأ التصدع يخلخل عمرانها ونخشى ان تسقط ويصعب على الدولة بنائها.

مدرسة الاسكندرية : الواقعة بداخل سور الدار الناصري الكبير وتحتوي على قبة ضخمة وسقوف من الاخشاب وصحن ومنارة عالية وبركة ماء للوضوء وتزين بالنقوش والواح الرخام طمرتها النورة البيضاء بعامل الرش عليها فهى تحتاج الى ترميم ومحافظة قبل سقوطها حتى لا يصعب على الدولة بناؤها.

جامع الحديدة : عمرته الحرة فاطمة بن الزراق من عُمان بالقرن الحادي عشر الهجري وفى السبعينات هدم الجامع واجتث من جذوره حبا فى بناء جامع على النمط الجديد على حساب اجتثات ذاك الأثر الاسلامى الشامخ.

وها نحن اليوم نسمع فكرة هدم جديدة لجامع اسحاق بالحديدة وبناءه من جديد لكى يلحق بالسابق وبذلك تكون نهاية كل قديم بالحديدة.

ولهذا نُهيب بالمسؤولين حماية هذا الأثر وحماية بقية الآثار الاسلامية الاخرى بالحديدة مثل المبانى المطلة على البحر ومدينة الحديدة القديمة وحمايتها حتى لا تطوي هذه المآثر كما حدث لمسجد المخا القديم.

سور مدينة زبيد وابوابها : فى عام 1382 هـ/1962 م على اثر الاحداث السياسية باليمن دبت الفوضى الادارية واللامبالاة فبدأ السور فى التصدع فلم يجد من يرممه فبدأت الايادي العابثة الجاهلة الى هدمه لأن عمارته من الياجور والطين اذ ان ياجور زبيد يمكن نقضه من عمارة لعمارة أخرى، حتى انتهى ولم يبق منه الا ما كان مرتبطا بالابواب ويعود الفضل فى ترميم هذه الابواب وبعض الابراج الى التعاون الاهلى بزبيد الذي بذل بحسب امكانياته فهى لا تزال فى حاجة الى ترميم اكثر حفاظا عليها حتى لا تندثر بسبب قدمها وقد تفهم الأخ رئيس الجمهورية لهذه الحقيقة وامر بان تصان هذه المآثر ونطمع ان ينفذ ما أمر به الأخ رئيس الجمهورية.

واذا كنت قد وقفت عند هذه النماذج المختارة عن بعض الآثار فى كل من زبيد والحديدة والمخا. فالواقع بصورة عامة تحتاج الى العناية الكاملة لانها تجسد ما لليمن من آثار اسلامية جمة، كان الفضل فيها لحب ابناء اليمن تخليد مآثر تدل على حبهم الحضاري والفتاعل الكبير مع الحضارة الاسلامية من الشرق حتى الغرب. والواقع ان هنالك قضية هامة يتطلب منا ان نقف عندها وقفة مكثفة ونقصد بها موضوع الفن المعماري فى تهامة بصورة عامة ومدينة زبيد بصورة خاصة باعتبار ان زبيد شكلت فى فترة من الفترات نقطة حضارية كبيرة التقى فيها الفيروزابادي والعلامة ان حجر العقلانى والعلامة ابن حجر الهتمى والعلامة السخاوي وغيرهم من العلماء فى الاقطار الاسلامية وقد خلفت هذه العلاقات الـ‌ا‌مية المتعددة شهرة عالمية فى حينها وبطبيعة الحال فقد شهدت المدينة حركة معمارية واسعة النطاق كانت من اقدم ذلك ان مدينة زبيد هى التى اخذت بالفن المعماري الذي لا يختلف فى كثير أو قليل عن بعض ملامح مدينة صنعاء القديمة التى هى فى الغالب من الياجور وهذه الاشارة تشدنا الى ما عرف فى تاريخ اليمن الاسلامى من سباق حضاري بين المدينتين المشهورتين اسلاميا وانطلاقا من هذه الحقيقة التاريخية التى لا تعرف الجدل فى الواقع لقد اصيب الفن المعماري هنالك بكثير من الاضرار المادية التى لحقته من جراء ما نكب به كثير من الاقطار الاسلامية على : وهو الاخذ بالفن المعماري الحديث ولجهل الناس بسبب المفاهيم الاعلامية المغلوطة التى نظرت الى كل ما هو قديم يجب ان يزول وبسبب هذه اصيبت كثير من مدن اليمن بالتجافى مع فنهم المعماري الاصلى ولولا التدارك الاخير لكان قد طمر الكثير من دلائل هذا الفن المعماري وبما اننا فى هذا الجانب سنقف مع الفن المعماري فى زبيد. فالواقع لقد نكتب الكثير من مخلفات هذا الفن بعضها كان بسبب بعض تصرفات الحكام البائدين وتصرفات بعض المغلوطة نظراتهم فاحدثوا تنافرا بين التقاليد الفنية الاولى والفن المعماري الحديث حتى ان البعض منهم كان يشكك فى قدرة هذا الفن على الاستمرار من هنا وخوفا على الاندثار نطمع بان تخص مدينة زبيد بدراسة ميدانية لفنها المعماري واستصدار صيغ ملزمة اذ هنالك من يرغب فى منازل

جديدة يحب ان تكون خارج المدينة كما بمدينة صنعاء مع منع من يستتب فى الاخلال بشروط واسس الفن المعماري القديم حماية ومنعا للاسهام فى زوال هذا الفن الذي يخشى ان ينقرض من الحياة.

والواقع اننا ما قدمناه لا يفى بالغرض المطلوب وانما الذي قدمناه الآن مجرد محاولة لفهم خصوصيات هذا الموضوع وفى الاخير نرجو من الله ان يكلل هذا المؤتمر بالنجاح والتوفيق.

عبد الرحمن عبد الله الحضرمى

30 ربيع الأول سنة 1400 هـ
16 فبرايـــر سنـــة 1980 م